

خاطرة

نداء المال ...

للأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر

ما للحياة قد مالت بآمالى؟! وأين مالى؟
لقد كنت معتزاً به حتى سميت « صاحب عزة »!
وكنت سعيداً في جمه؛ فندوت « صاحب سعادة »!
ترى: أنادتنى شقوة المحرومين لأبلو شقاءهم؟
أم دعتنى بلوة المكروبين لأذوق بلاءهم؟
حسبي يا زمان!

طالباً طال عنق، وتطاول حنق؛ حتى نزل المنق بين كفتي
وكاد يحس من كيانى، واسترخى الحق في بلاهة ردتني إلى
الحقيقة، فمرفت ميزاني واتزاني!

كنت أزن المقادير على قدرك، وأسطنح الجاه في ظلك، وأدعى
الأصل المربق بأصالتك!

كانت النفلة تركب وأسى؛ فأتفاني عن الحق، وأصور الحياة
متمات لاهية تملأ لهوات الأطلع!

ما حسبت أن السيادة فطرة الله فتغالبت وتماليت، حتى
أرخصني غلوي، وهبط بي علوي، وتبصرت حياتي فوجدتني
صغراً بلا آحاد، بعد أن كنت واحداً يباهي بأصفار على يمينه!

يا مالى! ...

أناديك وقد طويت كشحك عني، كأنك ترد إلى «ضريبة»
غرورى. وما جدواي من نداءك بعد أن كبا بي جدى،
وأخلفت الأيام عهدي؟

يا مالى! ...

ليست فيك آمالى؛ فقد علمت أن الآمال في خزانة القلب ممثلة
في الرضا، والقناعة، والأمن، والسلامة!

يا مالى! ...

كان الشيطان يفسدني، ويفرر بي، حتى تركتني في مزيج
الحسرة؛ فرميت مرى المهانة!

يا مالى! ...

ماذا دهاني حتى أعاني ما أعاني؟

كنت أضع في مجتمعي حدوداً حتى نحدثت حياتي، وكنت
أخذ «بطانة» تبارك ركابي، فتركت وحدي أقامى عذابي!
أين ظلال الشخصوس التي كانت تظل بشمى وغرورى؟ وأين
مغريات الطخيان لترى بأسائى ومصيرى؟

يا مالى! ...

كانت أخيلتي مجنحة، تخلق بي إلى عالم وهمي؛ فحسبت الحياة
كلها عرضاً يساع بك، وكنت في سيبلك أعرض عرضي،
لأحصل على مبالغى نفسى الطموح، وصرت معلقاً بخيوط أوهاى
حتى سخرت منى الحياة!

كنت أناجيك «يا مالى» مناجاة التخليد، فلم يقع في تقديري
أن قدرى في يد القدر، حتى أعجزتني المعجزة التي أحرست لسانى
وألجئت جنائى!

يا مالى! ...

أسترد على نجدى؟ أم أن طول التحسر لا يجندى؟
كنت أحسب الزمن يداعبني بملهاة ضاحكة، لكن تبين لي
أن الأضحوكة قد تكون حكمة!

ما ظننت يوماً - يا مالى - أن المحروم المتكد العيش، سيمتد
بجياته، ويكون صاحب «عزة» أصيلة عن عزى الدخيلة!
ما حسبت أن مشة وق القدمين الكادح، سيسبق طريقه في
الحياة على عمل جليل، ونظام متسق، ووحدة متألفة!

يا مالى! ...

لقد غيبتني الأملجوبة في غيبوبة العجب، وإلى لسائل نفسي
كيف استعالت أوضاع حياتي في طرفة العين إلى ما أرى من